محرر: حمزة ماهر الفواز

إذا كنتم تعرفون تصرُّفاتي فلماذا تدعوني؟ في زَوايا متعددة في الإنترنت يعم نوع خاص من المحتوى الرقمي: فيديوهات تقدّم معرفة صغيرة في الحياة اليومية من ثقافة مختلفة في بلدان أجنبية. تقدَّم مشاهدَ صغيرةً للأساليب الأجنبية في مناطق بعيدة بما فيها الطبخ والتقاليد والفن والاقتراب العام من الحياة. من خلال ذلك نستكشف ثقافات جديدة التي ما كنا نعرفها أبداً على نحو مختلف. الجمال في الأمر هو القدرة على التعرف على ما نجهله قبل ذلك وإدخال معرفة دنيوية إلى مخزن وعينا. من خلال ذلك تتوسع آفاق الإمكانية البشرية ونكتشف ما يحدث في حيوات بعيدة.

يؤدي كل ذلك إلى تبنِي حقائق عامة في فهمنا للعالم: يتّصف الطبخ الياباني بالسمك النَيء، يلعب الدين دوراً مهماً في الحياة الباكستانية، الصمبريرة عاديّة في الموضة المكسيكية. نقدر أن نعرف ذلك من كل مكان في العالم بفضل هذا النوع من المحتوى الرقمي فمِن خلاله نشكّل فكرةً عامة عن المجتمعات الأخرى في العالم. بالإضافة إلى ذلك، هذا المحتوى يمكّن الشَتات من الشعور بالاتصال بثقافاتهم من بعيد وهم يستكشفون أوجهاً جديدة لتاريخهم.

ما دور هذا المحتوى في تشكيل هوية الذات؟ خصوصا في الهوية الشتاتية؟ الذين يسعون إلى اكتشاف الثقافة لعائلاتهم سوف يجدون أمثلة كثيرة في منصات مثل أنستغرام وتيكتوك. صُنّاع المحتوى الرقمي يملؤون الفراغ. الشاب الفضولي الذي يريد أن يكتشف أساليب أسلافه سوف يلتفت إلى الذين مِن الثقافة أو (أفضل من ذلك) إلى الشباب الآخرين في الشتات والذين يكونون متّصلين بالثقافة بشكل أقرب. إذاً هذا الشاب الواحد يعتمد على التمثيلات المصنوعة على أَيدِي أفراد في مهنة الانتباه والاستهلاك – على أيدي أفراد يسحبون أيضاً من عائلاتهم وصُوَر وأمثلة متحرّفة عبر وسائل تقع أبعد فأبعد من الواقع.

المحتوى هذا يتناول كل وجه من أوجه الحياة بما فيه الحب والعلاقات. في الفراغ الشتاتي لهذا المجال ستجد صنّاعاً كثيرين جاهزين للإعلام. يقولون: هذا هو الحب على المِنوال الأفغاني. المواعدة على الطريقة السورية. الرومانسية بحسب الشعب الكولومبي. الشباب في الشتات يتبنّون الأفكار هذه (بوعي أم لا) ليملأوا هوياتهم بينما الشباب خارج الشتات يشكّلون أفكاراً في هذه الثقافة الأجنبية سواء حقيقية أم لا. ببطء هذه الأفكار تملأ الفراغ الذي شباب الشتات يرجون مَلئه وهويتهم تبدأ تعكس ما تعلّموا من خلال هذه الفيديوهات بغَضّ النظر عن محتواها.

هؤلاء الصناع تجّار في إعطاء الشرعية لرؤية ضيقة للتصرُّف الشتاتي من خلال تبييض الإساءة والإستعمال بعدسة حسبما يزعم بأنه عادي وطبيعي في الثقافة. تتخذ كل الفيديوهات نفسَ النمَط: صناع شباب من الثقافة يعرّفون التصرف العادي والتصرف المتوقَّع للثقافة أيْ التحكم على العلاقات لحبيبته وتعقُّب مكانها وتحديد ملابسها. يصبح من العادي القول بأنها لا تستطيع أن ترى صديقها الذكر. يصبح من العادي القول بأنها لا تستطيع أن تخرج إلى النوادي الليلية. يصبح من العادي القول بأنها لا تستطيع أن ترتدي الفستان المفضل لها. على كل حال، نحن الفرس\العرب\الكوبيون نتصرف هكذا. من العادي. في هذه المِساحة الرقمية تعمّ فيديوهات فيها يقدَّم منظور تقليدي (مزعوما) متّصف بالمذهب التالي: التحكم وإساءة المعاملة. شاب الشتات يتبنى نماذج التصرف هذه معتقداً أنها جزء من الثقافة – هي متوقعة ومقبولة. للأسف لا يوجد أي وسيلة للتصرف بشكل مختلف فالثقافة تُمليها.

هذا النوع من المحتوى إذاً يبني إطاراً للسماح: لأن هذا السلوك يندرج تحت التوقعات الثقافية، علينا أن نقبله كحتمية. تنكمش المساحة المتوفّرة للنقد والشباب الباحثون عن التحقق سيلجأون إلى النماذج القليلة التي يقدّمها صنّاع المحتوى الرقمي. علاوةً على ذلك، تسمح النبرة الفُكاهيّة في هذه الفيديوهات بالإنكار المقبول مما يخفي النيات والتأثيرات الحقيقية في عبرة المحتوى.

من ذلك، تنتشر نتائج مؤْذيَة: الشاب الأفغاني\الكردي\السلفادوري في الشتات يبني هويته الشتاتية حول المعتقدات هذه: لإشباع التوقعات فمِن اللازم إعادة إنتاج هذا السلوك؛ لكي أصل إلى الذات الأكثر أصلاً فمِن اللازم المحافظة على هذه القيم. من خلال ذلك، هوية الثقافة تبدأ ترتبط بإساءة المعاملة هذه مما يؤدي إلى احتلال هذه الأمثلة في الوعي الاجتماعي في الشتات وخارجه أيضا. تستمر هكذا الحلقة المفرَغة.

كيف نقوّم المضلَّلين؟ علينا فصل المبادئ عن الهوية الاجتماعية وبدلا من ذلك علينا ربط هذه المبادئ بقيم ملموسة أيْ التفاهم والتعاطف والحنان. الهوية الفارسية\البنانية\فنزويلية خاضعة للتحريف والتشكيل على يد تفسير الآخر ولكن كل شخص يَعرف معنى اللطف.